



المنظومة النحوية للشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغدوماً وأثرها التيسيري في تراث مدينة

إلورن العربي

Dr. Abdulwahid Sulyman Murtadha

And

Sheu Issa Ibrahim Alawonla

Lecturers, Department of Arabic And Islamic Studies, Faculty of Arts and
Humanities, Kogi State University, P.M.B 1008, Anyigba- Nigeria.

البريد الإلكتروني: abdulwahid.sm@ksu.edu.ng

مستخلص البحث

تناولت هذه المقالة - بموضوعها " منظومتي الشيخ أبي بكر أبرغدوماً النحويتين وأثرهما التيسيري في تراث مدينة إلورن العربي" - نبذة يسيرة عن حياة الشيخ الصديق أبي بكر أبرغدوماً، وجاءت بتعريف مدينة إلورن، وتاريخ نشأتها، وتعريف التراث العربي وأقسامه، والمأثورات الشعبية، وثقافة التراث العربية التقليدية في مدينة إلورن، ثم تعرض إلى عرض منظومتي أبرغدوماً والبحث عن منهجها، ودراسة أثرهما التيسيري في تراث مدينة العربي، منتهية إلى نتائج، أهمها: (١) ظهر أن الشيخ أبرغدوماً وضع منظومتيه للمبتدئين، مكتفياً فمهما بالأساسيات النحوية، في مراعاة مستوياتهم العلمية. الأمر الذي جعله مهملاً لكثير من الأبواب التي لا حاجة لهم فيها. (٢) أن المنظومتين معتمدتان على كتاب "متن الأجرومية" للصنعاجي، فهي نظم لمنثوره، وتيسير طرق تعليمه. (٣) أنه سُوغ للمنظومات الطويلة مجيئها من بحر الرجز غالباً، ومجيئها من بحور أخرى إذا كانت المنظومة غير طويلة، كمنظومتي الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغدوماً النحويتين القصيرتين. (٤) وأن منظومتي الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغدوماً النحويتين أثرتا فيما بعدهما من مؤلفات علماء إلورن النحوية، ولها دور عظيم في تنشيط الحركة الثقافية، إحياء لتراث مدينة إلورن العربي، إضافة إلى مقدرة صاحبها على إخراج كنز نحوي نيجيري عامة، وإلوري خاصة، وحفظها من الضياع.

المنظومة النحوية: وأثرها التيسيري: تراث مدينة إلورن العربي

كلمات أساسية

لقد أدرك العلماء الأوائل وجود فرق جوهري بين النحو وتعليم النحو، ولهذا لجؤا في القضاء على صعوبة النحو إلى تيسير تعليم النحو، لا تيسير النحو، فاخترعوا المنظومات والمتون المنثورة المختصرة، وقد رأينا في العرض الإحصائي مدى عناية علماء العربية بالمنظومات؛ سعيًا منهم إلى إيفهام كتاب الله، وذلك بتيسير تعلّم قواعد النحو وتيسير حفظها، وقد ظهر التعليم والتسهيل على المتعلمين من ناحيتين: المحتوى، وطريقة ترتيب المحتوى.¹

ومما يبدو أن أغلب المنظومات النحوية كان هدفها التيسير، في جعل علم النحو قريبًا من أذهان المتعلمين. ولهذا اختلفت المنظومات من جهة الطول والقصر، فبعضها قصد بها المبتدؤون، وبعضها قصد بها من هو أعلى من المبتدئين، فزادها طولًا، ونرى فيها كثرة التفرعات، وذكر الاختلافات، وكان الناظمون الذين كتبوا المنظومات حريصين كل الحرص على اتباع مناهج التعليم، وتحري مظاهر التيسير في منظوماتهم.

ويقصد بكلمة "التيسير" تقريب مادة النحو، وإرساء دراساته إلى أذهان المتعلمين، في صورة منتهية في البساطة والوضوح، وقد شاعت بين الباحثين النحاة عدة مصطلحات ترادف هذه الكلمة، منها: الاختصار، والتبسيط، والتجديد، والإحياء، وغيرها من الكلمات التي تخبر عن محاولات التيسير في النحو العربي.

ومهما يكن من أمر، فإن من أوائل محاولات الإصلاح قديما محاولة "خلف بن الأحمر النصري" المتوفى ١٨٠ هـ عندما ألقى رسالة أسماها "مقدمة في النحو"، وهمه دعوة النحاة إلى عدم الاهتمام بما لا يحتاج إليه المتعلمون، وتبعه في ذلك ابن مضاء القرطبي، إلا أن كل هذه المحاولات لم تثمر حتى جاء شوقي ضيف وحقق كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء السالف الذكر.

فقد انقسمت محاولات الإصلاح والتيسير إلى قسمين: إصلاح الكتب النحوي، وإصلاح المحتوى النحوي، ومن هذا المجال ظهرت المنظومات النحوية للتقريب والبسط، كقول ابن مالك:

تقريب الأقصى بلفظ موجز** وتبسط البذل بوعد منجزⁱⁱ

ويقول ابن فودي:

تعلّمك الأعراب وهي قريبة** منظمة ييسرتها أيما يسرⁱⁱⁱ

ومن المنظومات التي لعبت أدوارا فعالة في تيسير النحو العربي في نيجيريا عامة، وفي مدينة إلورن خاصة، منظومة الشيخ أبي بكر أبرغذوما الإلوري، حيث تهدف هذه المقالة دراستها، معتمدة على المنهج الوصفي لبلوغ الغاية المنشودة، مكتسبة أهميتها في الكشف عن بعض محاولات تيسيرية تقريبية قدمها علماء نيجيريا في النحو العربي.

وعلى هذه الظاهرة، تأتي هذه المقالة – بعد المقدمة - فيما يلي:

- نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر الصديق أبرغذوما

- تراث مدينة إلورن العربي
- عرض منظومتي الشيخ أبي بكر الصديق أبرغدوما
- منهج الشيخ أبرغدوما في المنظومة النحوية
- من مظاهر تيسير تعليم النحو العربي في منظومتي أبرغدوما النحويتين

النتائج والمناقشة

نبذة عن حياة الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغدوما

هو الشيخ الجليل، العلامة المتفنون، الصوفي الكبير، الإمام المؤسس أبوبكر الصديق، بن صلاح الدين، بن الشيخ خضر، بن الشيخ عبد القادر، بن الشيخ إبراهيم، بن الشيخ عثمان، بن الشيخ إسماعيل أبرغدوما^{iv}. كان لأجداده تاريخ في تطوير الثقافة العربية والإسلامية في بلاد يوربا، حيث خرج جده الأكبر إبراهيم وسار من أرض فوت طور حتى نزل في بلد أبحشي أئغن "بورتونوفو" الذي كان من جمهورية بنين، وهي تقع في غرب إفريقيا حالياً، ومكث هناك حتى وافته المنية، وبعد وفاته خرج أحد أولاده عبد القادر بقصد الجهاد في سبيل الله حتى نزل هو وجماعته في مدينة إلورن، وجعلوا هذه المدينة منزلاً ومسكناً^v.

ولد الشيخ أبوبكر الصديق في منزل أبرغدوما بمدينة إلورن يوم الثلاثاء الأول من شهر ديسمبر عام ١٩١٤م. الموافق ١٣٣٣هـ، وهو آخر أيام الحرب العالمية الأولى، وأبوه هو صلاح الدين بن خضر بن عبد القادر، وأمه حليلة بنت علي، بن محمد^{vi}.

قام الشيخ أبوبكر ببذل ما في وسعه في سبيل طلب العلم حتى نال الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر من العلوم، وقد أكب على التعليم منذ نعومة أظفاره حيث قرأ القرآن عند جده من جهة الأم، وهو الشيخ علي بن محمد (السالف الذكر^{vii}) حتى وصل إلى سورة الرحمن، ثم انتقل إلى الشيخ محمد الجامع وأكمل قراءة القرآن، وبدأ تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وأخذ قسطاً كبيراً عند الشيخ محمد البوصيري حيث درس المسائل الفقهية، ولم يزل عند هذا حتى اتصل بالشيخ أمين الله "باباً إتاً" وقرأ عنده أنواع الكتب العربية، مثل: مقامات الحريري، ومختار الشعر الجاهلي وغيرهما، وبعد ذلك سمع عن الشيخ أحمد الملقب بجيجي بمدينة إبادن، فرحل إليه واقتبس من نوره أيضاً، وهكذا يتجول من عالم إلى آخر حتى سمع عن الشيخ أحمد بن مصطفى الزاكي فانتقل إليه، وانتهى إلى مطافه التعليمي، وعنده تعمق وتبحر في العلم، وصار علماً من أعلام اللغة العربية^{viii}. وكان متحلياً بالأخلاق الحميدة، والشمائل النبيلة، وكان ذا اتجاه علمي خاص، وذا طابع ديني خلقي جميل^{ix}.

حجّ الشيخ أبرغدوما البيت الحرام لأداء مناسك الحج سنة ١٩٤٨م. عن طريق البر، وكان فرصة سانحة له للاتصال بدوي الذخائر الفنية السامية، والآفاق العلمية النامية، وزاد له ذلك ثقافة وخبرة وذخيرة لغوية، وتجارب وعلوم وافرة إلى حد بعيد، وكان الشيخ صوفياً تجانياً^x.

ولما بلغ مبلغ الشيخ واشتدّ ساعده، صرف همه إلى العلم، والتدريس، فجعل الله سعيه مشكورا، ورفع له مكانا عليا بالعلم والمعرفة على بعض الذين سبقوه، وذلك بفضل الله الذي اختص به الشيخ أبا بكر أبرغذوما إلى أن حقق الله مراده، فأنشأ مدرسة عربية إسلامية سماها "معهد زمرة الصالحين" أولوجي، في مدينة الورد، وكانت المدرسة ولا تزال تخرج لبايا من التلاميذ كل عام، ومن تلاميذه الشيخ عيسى ذو العينين، وهو حافظ للقرآن، وإمام مسجد إنا أيعا (ITA EGBA) ومفسر القرآن في مساء أيام رمضان، وكان عالما فقهيا ناسكا زاهدا، متمسكا بالطريقة التجانية، والشيخ الحاج ولي الله أغورو، والحاج علي دودو، والحاج مرتضى نور الدين ألأيا، والدكتور حسين عبد الكريم بباتا، والحاج خضر أبو بكر (خريج جامعة الإمارات العربية المتحدة) والحاج الدكتور سليمان عبد الواحد ألاكوقا، والحاج محمد الغالي زكريا^{xi}. وغيرهم الكثير من البرافسة والدكاترة الأكاديميين البارزين.

للشيخ أبي بكر الصديق أبرغذوما إنتاجات علمية كثيرة، وأكثرها منظومة، ومنها ما يلي:

- ١- حديقة الأشجار في كطف أنواع الأثمار.
- ٢- مآثر الخيرة في زيارة صاحب الفيضة.
- ٣- مفاتيح السرور في التوسل بأسماء علماء الورد.
- ٤- المجموعة للقصائد التاريخية.
- ٥- التذكار في تأسيس مدرسة زمرة الصالحين.
- ٦- قصائد الاعتراف بالجميل (الأول والثاني)
- ٧- المرثيات.
- ٨- مائتي القاموس.
- ٩- مجموعة المفيدات في قصائد الخيرات.
- ١٠- مجموع القصائد الخمسة.
- ١١- محراث التلاميذ في حرث بستان الأساتيد.
- ١٢- مفتاح المغلق لأبواب الصندوق.
- ١٣- إحياء بلد الزكي لجوهر نفس الزكي.
- ١٤- مرقة المناير.

ومن هذه الكتب ما أخرجه الشيخ أبرغذوما للمؤلفين الآخرين المجهولين، وعلق عليه، وأحيانا يُوشى الكتاب أو يعقبه بكتابه الخاص ويقول: "وللإمام أبي بكر الصديق صلاح الدين هذا" كما فعل في كتاب "مرقة المناير" للشيخ محمد اللبيب الشهير بالشيخ تاج الأدب "رحمه الله" هادفا إلى تخريج منظومته النحوية، والتعليق عليه.

توفي الشيخ أبو بكر الصديق أبرغدوما بمنزله بمدينة إلورن يوم السبت ٥ من مايو ٢٠٠١ م. عن ٨٧ عاماً، وشيع جنازته لفيف من علماء إلورن وبلاد يوريا^{xii} "رحمه الله" ومن العجب أن المترجم عنه قد حفر قبر نفسه قبل موته بأعوام، ورثى نفسه قبل غيره من الشعراء وفيه يقول:

أبو بكر الصديق يتـرك بيته ** لمن يسكنون فيه من بعد موته
بوقت يريد الله ليس بوقت ما ** يحفر قبراً تحت دهليز داره
إلى أن قال:

أبو بكر الصديق صار بموته ** فقيراً حقيراً في مضاجع قبره
يموت يموت عند ما جاء وقته ** وليس له للدافعين لموته
ويا أيها الإخوان استغفروا له ** بسر وجهه من جميع ذنوبه
إلى قوله:

نظمت قصيدي في رثاء مضاجعي ** وتذكير قبري حين يؤتى بدوده^{xiii}

تراث مدينة إلورن العربي

بدأت إمارة إلورن بقرية صغيرة تُدعى إلورن، أسست فيما بين ١٦٠٠ م. و ١٧٨٠ م. وهناك تضارب في الآراء حول مؤسسها، فمن قائل إنه صياد اسمه (أوجو إسكوسي) وقائل إنه صياد اسمه (إيميل) أو (إيلينلا) وقائل إنها تأسست على يد صياد اسمه (لديرن) ثم التجأ إليها رجل اسمه (أفنج) وهو القائد الأعلى لمملكة يوريا حينذاك، وبعد فشله من سرية بعثه إليها ملك المملكة، وكان من عادة يوريا أن ينتحر القائد الأعلى إذا انهزم، أو لم ينتصر خلال ثلاثة أشهر من بداية الحرب، وبدلاً من أن ينتحر (أفنج) لاذ بالفرار إلى إلورن حيث تنازل له قِبل القرية من الرئاسة. ثم نزل بهذه القرية بعض الفلانيين، رعاة الغنم، وتمركزوا بمنطقة غا برئاسة رجل يُدعى (أولوفادي) ونزل كذلك أناس من قبيلة هوسا في منطقة (غمبري) ورئيسهم (باكو) ونزلت بالقرب من القرية جماعة من المسلمين التي تكونت من اليوربويين والبرابرة، وكان رئيسهم أبو بكر (شولا بيرو) يعرف المكان بربوة السنة. فهكذا أصبحت قرية إلورن مدينة.^{xiv}

والتراث بمفهومه البسيط، هو خلاصة ما خلفته (ورثته) الأجيال السالفة للأجيال الحالية. التراث هو ما خلفه الأجداد لكي يكون عبرة من الماضي، ونهجا يستقي منه الأبناء الدروس ليعتبروا من الحاضر إلى المستقبل. والتراث في الحضارة بمثابة الجذور في الشجرة، فكلما عاصت وتفرّعت الجذور؛ كانت الشجرة أقوى وأثبت وأقدر على مواجهة تقلبات الزمان. ومن الناحية العلميّة، هو علم ثقافيّ قائم بذاته، يختصّ بقطاع معيّن من الثقافة (الثقافة التقليديّة أو الشعبيّة) ويلقى الضوء عليها من زوايا تاريخيّة، وجغرافيّة واجتماعية ونفسية. التراث الشعبي عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلاً عن جيل، ويكون الجزء الأكبر من التراث

الشعبي من الحكايات الشعبوية، والقصص البطولية والأساطير. ويشتمل التراث الشعبي أيضا على الفنون، والحرف، وأنواع الرقص، واللعب، واللهو، والأغاني، أو الحكايات الشعرية للأطفال، والأمثال السائرة، والألغاز، والأحاجي، والمفاهيم الخرافية، والاحتفالات، والأعياد الدينية كذلك. فكل الناتج الثقافي للأمة يمكن أن نقول عنه (تراث الأمة)^{xv}

ويعرف الكاتب صالح زيادنة التراث ويقول: هو ما ينتقل من عادات، وتقاليد، وعلوم، وآداب، وفنون، ونحوها من جيل إلى جيل، نقول: (التراث الإنساني، والتراث الأدبي، والتراث الشعبي) وهو ما يشمل كل الفنون، والمآثورات الشعبية من شعر، وغناء، وموسيقى، ومعتقدات شعبية، وقصص، وحكايات، وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة، وما تتضمنه من طرق موروثه في الأداء، والأشكال، ومن ألوان الرقص، والألعاب، والمهارات.^{xvi}

عرض منظومتي الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغذوما

أخذ أبرغذوما عنوان الكتاب (مرقاة المنابر) من عجز البيت الأول من منظومة الشيخ محمد اللبيب الشهير بـ "تاج الأدب" حيث يقول:

ألا يا مرید العلم والفقہ والحجی ** تعلّم علومَ النحو ترقّ المنابر

كلامهم العريضة قل ثلاثة ** فإسم وفعل بعده الحرف يا حبري^{xvii}

فكان الشيخ أبرغذوما قد أنس بتأثر هذا الشيخ في منظومته بالشيخ عثمان بن فودي في منظومته

النحوية، فأوردتها في الكتاب متحدتين بحرا، وقافية، وغرضا. مطلعها:

أيا طالب الإعراب دونك جملة ** من أحرفها ألفتها لك في الشعر

تعلّمك الإعراب وهي قريبة ** منظمّة يسرّها أيما يسر^{xviii}

وقد توسّط الشيخ أبرغذوما في كتاب "مرقاة المنابر" بمنظومتيه النحويتين، الأولى لامية في تسع وستين

بيتا (٦٩) باتحاد الغرض، واختلاف البحر والقافية، ومطلعها:

بسم الإله أردت في قصيدة ما ** يكون تذكيره من بين محتفل

الحمد لله رب العالمين على الـ ** علم بنحو على ما فيه قد نزل^{xix}

قد اتجه الشيخ أبرغذوما في هذه المنظومة النحوية اللامية الأولى اتجاها تعليميا، بأسلوب مؤجز، يختصر

فيه عددا من الأبواب النحوية المعيارية تقريبا لمأخذ الطلاب، وتيسير تعلّمها لهم، بحفظ المتن المنظوم. افتتح

أبرغذوما ببسم الله، والحمدلة، والصلصلة على خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، كعادته في جل الأدبية،

والمنظومات العلمية، مستطردا إلى إرشاد من يريد مفاتيح العلوم والفنون إلى تعلم النحو، والتضلع فيه، منجذبا

اهتمام الطلاب إلى سماع منظومته المشروحة. يقول:

من ذلك هاتيك عبارته ** لكي تفيد بما في النحو يشتمل
تعلموا العلم ثم علموه على ** من كان فتحا يريد ثم لم يمل
فصنع سماعتك عني للجميع بما ** آتيك في شرحه بما به أقل^{xx}
وقد اشتملت هذه المنظومة على كثير من الأبواب النحوية المحتاجة إليها في التعبير العربي الفصيح،
بداية من تعريف الكلام وأقسامه، وعلامات كل منها حيث يقول:

إن الكلام هو اللفظ المركب بالـ ** مفيد في وضعه لما به حصل
إلى ثلاثة أقسام هو ينقسم ** اسم وفعل وحرف جاء بالجمل
خفض وتنوين أل إسناد ياء النداء ** لكي به تعرف للاسم ما اشتمل
والحرف ما لا له شيء يكون به ** علامة بعد ذا الفعل ينفصل
بسين سوف وقد تاء المخاطبة ** فتحا وكسرا وبالإسكان يبتتل^{xxi}

وقد ضمن الشيخ أبرغندوما في هذه المنظومة نحو خمس وعشرين موضوعا كما يلي: الكلام وأقسامه،
والإعراب وأقسامه، وحروف الجرّ، ونواصب المضارع، وجوازم المضارع، الأسماء الخمسة، الأفعال الخمسة،
وعلامات الإعراب، الأسماء التي لا تنصرف، وإعراب الأفعال المعتلة، وشرع في مواضع رفع الاسم، متناولا
فيها: الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، وأسماء "كان" وأخواتها، والتوابع الأربعة، ثم أتى بمواضع رفع الاسم،
مبتدئا بباب المفعول به، فالمصدر (ظرفي الزمان والمكان) والتمييز، والحال، وأسماء لا النافية للجنس، والمنادى،
والمستثنى، والمفعول لأجله، وأسماء "إن" وأخواتها، منتهيا بالمفعول معه، واختص اثني عشر بيتا آخر المنظومة
لبيان الهدف من نظمه.

وفي آخر هذه اللامية، ذكر أبرغندوما الهدف من تأليفه، وهو تيسير تعلم موضوعات النحو المنظومة في
كتاب متن الأجرومية للكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن داؤد الصنهاجي، وأنه تمّ نظمها من طريقه إلى
الحج. في ذلك يقول:

وفي طريقة للحج أردت بما ** في الأجرومية ما للنحو لم أزل^{xxii}
والمنظومة الثانية هاهية، وقد ورد في تسع وستين بيتا (٦٧) يقول في مطلعها:
باسم الإله قمت في البعث أيمن ** يكون رئيسا في الفنون وعلمها
بأنواع حوت العلم يملاً بحرها ** لمن كان ذا صيد يريد بحوثها^{xxiii}

إلى قوله:

خذوا علمكم بالنقل عند المعلم ** ولا تأخذوه بالعقول لعزها
وكم من طلاب العلم يطلب علمه ** بإلهام لا بالشيخ يطلب نقلها^{xxiv}

وفيها تعرّض الشيخ إلى قضية الأخوين اللذين ترافعا إلى زياد في ميراث، حيث قال أحدهما: "إن أبونا مات، وإن أختنا وثب على مال أبانا فأكله" فقال زياد: "إن الذي أضعت من نفسك أضرت عليك مما أضعت من مالك"^{xxv} وفي هذا يقول أبرغذوما:

إذا ما ترى شيخا يحرك رأسه ** وأصواته قد كان من علمائها
بهذا نبهت كل من نام عنهما ** بأن يجهدوا في شأن تحصيل نفعها^{xxvi}

هذا، وقد احتوت هذه المنظومة الهائية على أهمية تعلّم علمي النحو والصرف، وثمرات تعلمهما. الأمر الذي جعله يرشد الطلاب إلى التشبّه بالعبارة الأعلام النيجيريين الذين تعلموا النحو وصاروا ممن يشار إليهم بالبنان في العلوم والفنون، وأخذ يبين الأفضلية بين حال من عرف النحو والصرف واستخدمها في الخطابة والكتابة، بحال من فقدهما، وشرح فضلهما من جميع العلوم العربية، ودعى الله العليم أن يكشف حجاب الجهل المغطى معرفتهما للطلاب، مرشدا إياهم بأخذهما من المعلم الخبير، غير معتمدين على العقول، أو على الإلهام.^{xxvii}

وتأسيسا على هذا، يرى الشيخ أبرغذوما اللجوء إلى التشبيه لإثبات فضل علمي النحو والصرف في العلوم والفنون، وإبداء أهميته للطلاب، فشبه العلوم والفنون كالماء الساكن في قعر البئر، والنحو والصرف بالدلو وحبله المتحرّكين سكون العلوم والفنون العربية في قعر بئرها حيث يقول:

وجدت فنون العلم حين نظرّتها ** كبئر وماء ساكن تحت قعرها
ولكنها من بينها النحو وكذا ** لك الصرف كانا مثل دلوٍ وحبلها
لأجلهما كونوا لدى علمائها ** خداما تكونوا متقنين لعلمها^{xxviii}

وكذلك شبّه حال خطاب الجاهل بالنحو بين العبارة كفأر بين الهزرة، فحاله لا يستقرّ، ولسانه لا يستقيم، ويبيّن أن معرفته بعلمي النحو والصرف هي التي جعلته عالما بأسرار العربية، ومتضلعا فيها. الأمر الذي مكّنه من النظم، وإلا فتكون المنظومة مرمية في موضع يلقي فيه الرّيل والأوساخ. لنستمع إليه:

فإن الذي من علمها كان جاهلا ** يكون كفأر بين هرّ لفقدتها
ونظم شعرٍ إن يكن عادما لها ** ومنظومة في المزبل مثل زيلها
لذلك يهديكم أبو بكر لما ** يكون لكم نفعاً إلى معرفتها^{xxix}
وواصل البيان حتى أتى إلى قوله:

وجاهلها في كثرة من علومه ** وأصواته مثل الكلاب ينبحها
لذلك أمرت كلّ الطلاب عندنا ** ليكثروا في علمها بطلابها
لأنني أخاف الخزي من بين محشر ** لعدم بعلم النحو والصرف كلها
وأنهما كانا لباقي علومنا ** لباسًا جميلا للذي يلبسونها^{xxx}

وفي الخاتمة، دعا أبرغُدوما الله بالبركة لكل من قرأ منظومته، واستتره من عيوب بعض ركائبات لا يخلو عمل البشر منها؛ ما دام الكمال لله وحده. يقول فيها:

فيا رب بارك في قصيدتنا لمن ** يطالعها واستر لنا من ركيكها
بحرمة من كان لخلقك سيذا ** به سعدت عين الأئمة كلها^{xxxix}

وهاتان المنظومتان هما ما يقصده الباحث بالدراسة والتحليل، للوقوف على مدى أثرهما التيسيري في تعليم النحو في تراث مدينة إلورن العربي.

منهج الشيخ أبرغُدوما في منظومته

ورد في لسان العرب في مادة (ن ه ج) المنهاج: الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نهجا. وفي حديث العباس: لم يمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ترككم على طريق ناهجة أي: واضحة بينة. وفلان يستنهج سبيل فلان أي: يسلك نهجه. والنهج: الطريق المستقيم.^{xxxii} وفي المعجم الوسيط، المنهج: المنهاج، والجمع: المنهاج. والمنهاج: الطريق الواضح؛ وفي التنزيل العزيز: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" (المائدة: ٤٨) و- الخطة المرسومة. (وهي كلمة محدثة) ومنه: منهاج الدراسة، منهاج التعليم ونحوهما. و(الجمع): مناهج.^{xxxiii}

ويعتبر المنهج في معناه الحديث جمع التجارب والخبرات التربوية التي تقدمها المدرسة أو المدرسون نحو تيسير تعليم العلوم والفنون، في وضع خطة مرسومة لها، داخل المدرسة وخارجها. ويلاحظ أن الهدف الرئيس من وضع أي منهج التيسير، والمنظومات النحوية شكل من أشكال تيسير علم النحو التي مر بها منذ بدء التأليف فيه، وعمل تربوي بكل المقاييس الهادفة إلى توصيل النحو العربي إلى أذهان الطلاب بأيسر ما يكون، حيث لا يعد منهج أبرغُدوما في منظومته عن هذا المنهج التيسيري في أسلوب تعليمي مختصر في نظم سهل على الطلاب حفظ موضوعات علمي النحو والصرف واسترجاعها.

منظومتا الشيخ أبرغُدوما وأثرهما التيسيري في تراث مدينة إلورن العربي

المنظومات مبنية على الأوزان الشعرية، فلها أحكام الشعر؛ إلا أنه لا يصح مقارنة المنظومات العلمية من جهة الجودة والحسن والجمال الفني بالشعر الذي يتناول أغراضا طرقها الشعراء كالمدح، والفخر، والنسيب، وغيرها من أغراض الشعر، وذلك لأن الشعر يصدر عن نظرة عاطفية تعتمد على إحساس جياش، وتعبير في إطار التشبيه لترتكز على تأثير عاطفي مباشر، أما النظم فيعتمد على النثر العقلي الذي يقرب من موضوعية تناول والحكم، وما تفرضه هذه الموضوعية من تجرد من المؤثرات الخارجية.^{xxxiv} هذا، لأن لا نحمل الناظم ما ليس في طبيعة إنتاجه العربي في النظر إلى بعض مظاهر التيسير في المنظومتين الأبرغُدوميتين النحويتين فيما يلي: امتازت منظومتا أبرغُدوما بمميزات تيسيرية يأتي الباحث بأبرزها في نقاط آتية:

● القصر، إن أغلب المنظومات النحوية كان هدفها التيسير، وجعل علم النحو قريبا من أذهان المتعلمين، ولهذا اختلفت المنظومات من جهة الطول والقصر، فبعضها قصد بها المبتدؤون، وبعضها قصد بها من هو أعلى من المبتدئين، فنراها طويلة، ونرى فيها كثرة التفريعات وذكر الاختلافات، وكان الناظمون الذين كتبوا المنظومات حريصين كل الحرص على اتباع مناهج التعليم في منظوماتهم. الأمر الذي جعل موضوعات منظومة أبرغذوما مقصورة على كتاب "متن الآجرومية" المقرر على الطلاب.

● الشمول والاختصار، فقد اشتملت منظومة أبرغذوما اللامية على الأبواب المهمة في النحو، واختصرت القواعد النحوية بخلوها من الحشو كالتعريفات، وبعض الأبواب التي لا تهم المتعلم، وهذا يختصر على المتعلم الوقت، ويزيد في استيعابه، بالطابع التيسيري النابع من نهج معياري يتسم بالتسلسل المنطقي، ولا يدع ذهن المتعلم بتشتت بكثرة الأحكام التي يتعلمها.

● الترتيب، فنلاحظ أن أبرغذوما بنى منظومته على نظرة أساسية تجريبية متينة، فأتى بباب الكلام وأقسامه وعلامات كل منها قبل باب الإعراب وعلاماته، ونظم المبتدأ والخبر قبل بابي "كان وأخواتها" و "إن وأخواتها"، وهذا الأسلوب يساعد المتعلم على الترتيب الذهني للطلاب.

● الاستغناء عن التعريفات والأمثلة، وهذه الظاهرة تبدو جلية في سائر منظومة أبرغذوما اللامية النحوية. أحيانا يأتي بالتعريف الوجيز كقوله في الكلام والإعراب في الأبيات الآتية حيث يظهر أنه لم يتعرض إلى الإتيان بالأمثلة؛ لأن قصده في المنظومة ليس تعليميا، بل ضربا من ضروب تيسير الحفظ واستظهاره، ويأتي هذا النوع من النظم بعد انتهاء المدرس من شرح المتون وبيانها:

إن الكلام: هو اللفظ المركب بالـ ** مفيد في وضعه لما به حصل

إلى ثلاثة أقسام هو ينقسم ** اسم وفعل وحرف جاء بالجمل

خفض وتنوين، أل، إسناد، ياء النداء ** لكي به تعرف للاسم ما اشتمل

سين وسوف وقد تاء المخاطبة ** فتحا وكسرا وبالإسكان تبتتل

إعراب ألفاظهم: تغيير آخرها ** للاختلاف عليها للعوامل قل^{xxxv}

● الابتعاد عن التقسيمات والتعريفات التي قد لا تفيد العربية الفصحى من شيء خطابة وكتابة.

● عدم الاهتمام بالموضوعات التي نادى بعض النحاة - كابن مضاء القرطبي وإبراهيم أنيس - إلى إخراجها عن النحو العربي، محاولة تيسير تعليمه كـ "التنازع" و "الاستغائة" و "نظرية العامل".

- الحثّ على تعلّم علم النحو، والإكثار من ذكر فضله وأهميته، والتعريف بأعلامه النيجيريين كما اشتملت عليه المنظومة الثانية الهائية. كقوله:
 وكونوا كأستاذي "الزكي" ابن مصطفى** وكان بها في الاشتهار بلقبها
 وأحمد "جيجي" كان بالنحو عارفا** ومن عنده يجلو عيوني لعلمها
 تعلّمت متن الأجرومية عنده** يعلّمني ما يكتّم من إعرابها^{xxxvi}
 إلى قوله:
 وكونوا كأدم ابن عبد الإله أو** كالشيخ كمال الدين في حفظ علمها
 وكابن غزالي ذي علوم كثيرة** محمد غالي غارق في بحورها^{xxxvii}
- الميل إلى الأسلوب الكلامي. فن الكلام موهبة عظيمة من مواهبه سبحانه وتعالى، فقد وهبنا الله نعمة النطق في الصغر، والتحدث في الكبر، وميّزنا بهما على سائر مخلوقاته، وفي محاولات التحدث يشترك الطرفان: متحدث أو متكلم أو ملقي، ومتكلم إليه، أو مستمع، أو متلقّي، وفي هذا، يستحسن أن يكون الملقي فنانا ومالكا للمعلومات المطلوبة الملقية إلى المتلقين، بأسلوب سلس، سهل الفهم والإدراك، وفي هذا الصدد يمثّل أبرغذوماً مجرباً خبيراً، ومعلماً رشيداً، حيث يقول:
 إذا ما ترى شيخاً يحرك رأسه** وأصواته، قد كان من علمائها
 بهذا نبهت كلّ من نام عنهما** بأن يجهدوا في شأن تحصيل نفعها
 سوف يرون ما بها من منافع** إذا وجدوها في التزيّ بزيناها^{xxxviii}
- تحزّي أنسب البحور لغرضه التيسيري، فقد استعمل البحر البسيط في المنظومة الأولى، ولعل الشيخ أبرغذوماً قد وُفقَ أيما توفيق إلى هذا الاختيار، لتمكّنه من بسط موضوعات علم النحو المهمة لتلاميذه المبتدئين؛ فقد قيل في سبب تسمية البسيط بهذا الاسم أنه لانبساط الأسباب في أجزائه السباعية، فحصل في أول كلّ جزء من أجزائه السباعية سببان، فسُمّي لذلك بسيطاً، لانبساط الحركات في عروضه وضربه في حالة خبئهما، إذ تتوالى فيها ثلاث حركات.^{xxxix} واستخدم أبرغذوماً البحر الطويل في المنظومة الثانية، إشعاراً بأن النحو كالوتد للعلوم والفنون العربية، لأن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد، والأسباب بعد ذلك، والوتد أطول من السبب، فسُمّي لذلك طويلاً^{xl}، أو أنه راعى طول نفع التسلّح بالنحو للعلماء خطابة وكتابة، فاختر الطويل، دلالة على ذلك وتوجيهها، لأنه أطول الشعر، وأن ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفاً غيره.^{xli} إلا أن تكون هنا ملاحظة أخرى

للباحث وهي أن بساطة البحر وطوله لا يمنعان من ثقله، وصلابته، مما جعل الاهتمام به أقل. وفي هذا سبب آخر نبسطه في نتائج هذه المقالة.

- وحفظ التراث الوطني والمدني، يمثل التراث جزءاً من ذاكرة الأفراد والجماعة للوطن والمدينة، وله أدوار فعالة في حفظ الهوية الاجتماعية والثقافية. في الأول الوطني، ذكر الشيخ أبرغذوما في منظومته الثانية الهائية عدداً من أعلام النحو العربي في نيجيريا الذين أسهم كثير منهم بكتب نحوية قيمة، أو باستخدام المنهج التيسيري، بأسلوبه الكلامي المتميز فأثر في تطور اللغة العربية وآدابها كشيخه ابن مصطفى الزكوي الذي علمه متن الأجرومية، والشيخ أحمد جيبي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ محمد كمال الدين الأدبي، والشيخ أبي بكر عتيق^{xlii}، وغيرهم. الأمر الذي جعله نشر القصيدة النحوية المشهورة بـ "أيا طالب الإعراب" للشيخ عثمان بن فودي بعد المنظومتين في نفس الكتاب. وفي الثاني المدني، حيث أخرج قصيدة الشيخ محمد اللبيب الشهير بالشيخ تاج الأدب المشهورة بـ "ألا يا مرید العلم" التي عارض بها قصيدة ابن فودي السابقة، ولولا إخراجها؛ لم قد لا يعرف الناس رائية الشيخ تاج الأدب النحوية، أو يميّزون بينها وبين رائية عثمان بن فودي.

الاستنتاج والخلاصة

تناولت هذه المقالة - بموضوعها "منظومتي الشيخ أبي بكر أبرغذوما النحويتين وأثرهما التيسيري في تراث مدينة الورد العربي"- نبذة يسيرة عن حياة الشيخ الصديق أبي بكر أبرغذوما، وجاءت بتعريف مدينة الورد، وتاريخ نشأتها، وتعريف التراث العربي وأقسامه، والمأثورات الشعبية، وثقافة التراث العربية التقليدية في مدينة الورد، ثم تعرّض إلى عرض منظومتي أبرغذوما والبحث عن منهجهما، ودراسة أثرهما التيسيري في تراث مدينة العربي، منتهية إلى نتائج، أهمها:

- ظهر أن الشيخ أبرغذوما وضع منظومتيه للمبتدئين، مكثفياً فيهما بالأساسيات النحوية، في مراعاة مستوياتهم العلمية. الأمر الذي جعله مهملًا لكثير من الأبواب التي لا حاجة لهم فيها.
- أن المنظومتين معتمدتان على كتاب "متن الأجرومية" للصنعاوي، فهي نظم لمنثوره، وتيسير طرق تعليمه.
- أنه سُوغ للمنظومات الطويلة مجيئُه من بحر الرجز غالباً، ومجيئها من بحور أخرى إذا كانت المنظومة غير طويلة، كمنظومتي الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغذوما النحويتين القصيرتين.
- وأن منظومتي الشيخ أبي بكر صلاح الدين أبرغذوما النحويتين أثرتا فيما بعدهما من مؤلفات علماء الورد النحوية، ولها دور عظيم في تنشيط الحركة الثقافية، إحياء لتراث مدينة الورد

العربي، إضافة إلى مقدرة صاحبها على إخراج كنز نحوي نيجيري عامة، وإلوري خاصة، وحفظها من الضياع.

المراجع

- ١- حسان بن عبد الله بن محمد الغنيمان: المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو، كلية المعلمين بالرياض، مكان الطبع والتاريخ غير مذكورين، ص ٦٩
- ٢- جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك: شرح ابن عقيل على الألفية، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، غير مؤرخ، ص ٢
- ٣- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: مرقاة المنابر، القاهرة: زهدى للطباعة، غير مؤرخ، ص ١
- ٤- حي من أحياء ألوري (Alore) شارع عالم، إلورن.
- ٥- محمد كمال الدين بللو: الملامح الإسلامية في شعر الشيخ المرحوم أبي بكر أبارغدوما: دراسة تحليلية تطبيقية، مقالة منشورة في مجلة إلورن للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، ٢٠٠٤م، ص ٢
- ٦- محمد كمال الدين بللو: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٧- ما بين القوسين زيادة مني لزيادة البيان.
- ٨- عبد الواحد سليمان مرتضى ألكوكا (الدكتور): من أعلام الإنتاج العربي في نيجيريا: الشيخ أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما، مقالة منشورة في مجلة جامعة ولاية صكتو، العدد ٣، ٢٠٢٠م، ص ٢١١
- ٩- محمد كمال الدين بللو: المرجع السابق، ص ٣
- ١٠- محمد كمال الدين بللو: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١١- محمد كمال الدين بللو: المرجع نفسه، ص ٤
- ١٢- محمد كمال الدين بللو: المرجع نفسه، ص ٥
- ١٣- عبد الواحد سليمان مرتضى ألكوكا (الدكتور): المرجع السابق، ص ٢١٥
- ١٤- لطيف أونيزيتي إبراهيم وعيسى ألي أبو بكر (الدكتوران): الأدب العربي في ظل إمارة إلورن الإسلامية في نيجيريا، مقالة منشورة في مجلة رفوف، نخب المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار- الجزائر، العدد السابع- سبتمبر ٢٠١٥م، ص ٥٧-٥٨
- ١٥- صالح زيانة (الكاتب): التراث الشعبي: مصطلحات ومدلولات، تراث- ويكيبيديا، ar.m.wikipedia آخر تعديل تم في ١١/ إبريل / ٢٠٢١م.
- ١٦- صالح زيانة (الكاتب): المرجع نفسه.
- ١٧- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- ١٨- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ١٠
- ١٩- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ٣
- ٢٠- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٢١- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٢٢- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ٥
- ٢٣- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ٨
- ٢٤- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ١٠
- ٢٥- ينظر: محمود فجال: الحديث النبوي في النحو العربي، ج ١، ar.lib.eshia.ir، ص ٣٨
- ٢٦- أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما: المرجع نفسه، ص ١٠
- ٢٧- وهو مخلوط شعبي أو آيات قرآنية وطلاسم، أو خواتم مكتوبة على اللوح ومغسولة، تشرب لقوة الذاكرة والحفاظة.

- ٢٨- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، ص ٨
- ٢٩- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٣٠- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٣١- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، ص ١٠
- ٣٢- ابن المنظور (العلامة): لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٩٩٩ م، مادة ننج: الجزء: ١٤، ص ٣٠٠
- ٣٣- إبراهيم أنيس (الدكتور) وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٧٠ م، مادة: (ن ه ج)
- ٣٤- حسان بن عبد الله بن محمد الغنيمان: المرجع نفسه، ص ٨٧
- ٣٥- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، ص ٣
- ٣٦- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، ص ٨
- ٣٧- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٣٨- أبو بكر صلاح الدين أبردغوما: المرجع نفسه، ص ١٠
- ٣٩- غالب بن محمد بن محمود الشاويش: الكافي في علم العروض والقوافي، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ١، ١٩٩٦ م، ص ٧٧
- ٤٠- غالب بن محمد بن محمود الشاويش: المرجع نفسه، ص ٥٤
- ٤١- غالب بن محمد بن محمود الشاويش: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٤٢- اتبعت في هذا الترتيب نظام ترتيب المؤلف في منظومته.